المجلس الأعلى للثقافة

لجنة توثيق تاريخ مصر والقضية الفلسطينية

موسوعة
مصر والقضية الفلسطينية

المجلد السادس - الجزء 1

تحرير: عادل حسن غنيم

لجنة توثيق تاريخ مصر والقضية الفلسطينية

موسوعة مصر والقضية الفلسطينية

مقدمات حرب ١٩٧٣ م

(١٩٦٨م-١٩٧٣م)

المجلد السادس

الجـزء الأول

تحـــريـــر : عـــادل حســن غنيم

المجلس الأعلى للثقافة

2022

المجلس الأعلى للثقافة

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

غنيم، عادل حسن .
موسوعة مصر والقضية الفلسطينية مقدمات حرب ١٩٧٣م
المجلد السادس جـ١: / عادل حسن غنيم.- القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٢٢
٥٤٤ ص ؛ ٢٤سم
١- لجنة توثيق تاريخ مصر والقضية الفلسطينية.
(أ) غنيم، عادل حسن (محرر) .
(ب) العنوان .
٨١٢

رقم الإيداع ٢٠١٧ / ٢٠١٠
الترقيم الدولى 3 - 852 - 479 - 977 - 978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

الأفكار التى تتضمنها إصدارات المجلس الأعلى للثقافة هى اجتهادات أصحابها، ولا تعبِّر بالضرورة عن رأى المجلس.

حقوق النشر محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٢٣٧٥٨٠٨٤
El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo
Tel.: 27352396 **Fax** : 27358084.
www.scc.gov.eg

المجلس الأعلى للثقافة

الأمين العام
أ.د/ هشام عزمى

رئيس الإدارة المركزية للشعب
واللجان الثقافية
أ/ محمد عبد الحافظ ناصف

مدير إدارة التحرير والنشر
أ/ آمال سليمان

التصحيح اللغوى
أ/ محمد عصام

الإخراج الفنى
م. ماهر عبد الهادى

(الفهرس ج ١)

مقدمة المحرر عادل غنيم 7

أولاً: الموقف الداخلى فى مصر قبل الحرب

أوضاع مصر العامة اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا 13

الحركة الطلابية المصرية والدفاع عن القضايا الوطنية وقضية فلسطين 32

اليسار المصرى والقضية الفلسطينية 53

قضية فلسطين في المسرح المصري 64

فلسطين والفلسطينيون فى القصة المصرية 92

الشعرية المنتصرة من قلب الهزيمة إلى عتبات النصر 106

القضية الفلسطينية فى مقررات المدارس المصرية 139

ثانيًا: الموقف العسكرى قبل الحرب

إعادة بناء القوات المسلحة المصرية..... 175

الإعداد والتخطيط للعبور فى عهد جمال عبد الناصر..... 256

حرب الاستنزاف 312

تأثير حرب الاستنزاف على موقف مصر من القضية الفلسطينية 395

انتصار مصر في حرب الاستنزاف (شهادات إسرائيلية) 411

الإعداد والتخطيط للعبور فى عهد محمد أنور السادات 435

قضية فلسطين فى المسرح المصري

أ. د. سيد على إسماعيل
أستاذ بكلية الآداب – جامعة حلوان

سأتناول فى هذه الدراسة، قضية فلسطين فى المسرح المصري، منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧م إلى ما قبل انتصارات حرب أكتوبر المجيدة عام ١٩٧٣م. ولأن هذه الدراسة، هى الأولى من نوعها – فى هذا المشروع – من حيث صورة قضية فلسطين فى المسرح المصري، فهذا الأمر يلزمنى بأن أكتب تمهيدًا – فى عجالة – عن قضية فلسطين منذ ظهورها فى تاريخ المسرح المصري.

تمهيد

إن علاقة المسرح المصرى بفلسطين علاقة وطيدة منذ عام ١٩١٣م، عندما زارت فرقة جورج أبيض وسلامة حجازى مدينتى (يافا) و(القدس) ومثلت فيهما ثلاث مسرحيات، هي: لويس الحادى عشر، وأوديب، وصلاح الدين الأيوبى (١). وهذه العروض تُعد من أوائل العروض المسرحية العربية، التى عُرضت فى المدن الفلسطينية. ومسرحية (صلاح الدين الأيوبي) لها دلالتها

(١) ينظر: جريدة (الوطن) – القاهرة – ٣٠/ ٧/ ١٩١٣م.

عندما عُرضت فى القدس؛ حيث إنها تُذكر الأهالى بأمجاد بطولة صلاح الدين فى استرداده لمدينة القدس.

وفى عام ١٩٢٠م، زارت فرقة فوزى منيب فلسطين وعرضت فى مدنها عدة مسرحيات، منها مسرحية (اسم الله عليه)، وكانت الفرقة معروفة باسم (كشكش بك البربري)، أى أن فوزى منيب انتحل اسم الشهرة لنجيب الريحانى (كشكش بك)، وأضاف إليه كلمة (البربري) نسبة إليه؛ حيث إنه اسمر البشرة (١).

بعد هاتين الرحلتين واظبت أغلب الفرق المسرحية المصرية على زيارة فلسطين وعرض مسرحياتها على مسارح مدنها (٢)، ضمن رحلات فنية سنوية إلى الأقطار الشامية. ومن هذه الفرق: فرقة رمسيس - لصاحبها يوسف وهبى - التى زارت فلسطين فى أعوام ١٩٢٥م، و١٩٢٧م، و١٩٣٠م، و١٩٣٤م، و١٩٣٦م، وقدمت مجموعة من المسرحيات، منها: غادة الكاميليا، والبؤساء، ونوتردام دى باري، وتوسكا، وكونت دى مونت كريستو (٣). كما فاوضت أول محطة إذاعية فلسطينية - المعروفة ب "هنا القدس" بعد أيام من بداية عملها - يوسف وهبى على نقل مسرحياته، التى يمثلها فى فلسطين إلى جمهور القدس (٤).

---

(١) ينظر: مجلة (التياترو المصورة) - القاهرة - ١/ ١١/ ١٩٢٤م.

(٢) الجدير بالذكر أن المدن الفلسطينية فى عام ١٩٢٤م، كانت تشتمل على العديد من دور السينما والمسرح، منها على سبيل المثال: مسرح البللور بيافا يديره جميلة أيدي، وسينما لونابارك بيافا إدارة عبد الرحمن الطوبجي، وسينما سيون بالقدس إدارة المسيو جوت، وسينما القدس الكبير بالقدس إدارة عبد الله القدسي، وسينما المسكوبيه بالقدس إدارة مسيو شويلم، والمسرح الجديد بحيفا إدارة عبد الله روبين، ومسرح السنترال بحيفا إدارة سليم الصايغ. للمزيد ينظر: مجلة (التياترو المصورة) - القاهرة - ١/ ١٠/ ١٩٢٤م.

(٣) ينظر: مجلة (التياترو المصورة) ١/ ٤/ ١٩٢٥م، وجريدة (المقطم) - القاهرة - ٢٠/ ٧/ ١٩٢٧م، ٤/ ٥/ ١٩٣٤م، ومجلة (روز اليوسف) - القاهرة - ١٣/ ٥/ ١٩٣٠م، ومجلة (المصور) - القاهرة - ١٣/ ٣/ ١٩٣٦م.

(٤) ينظر: مجلة (المصور) ٢٠/ ٣/ ١٩٣٦م.

أما فرقة (بربرى مصر الوحيد) لعلى الكسار؛ فقد زارت المدن الفلسطينية فى أعوام ١٩٢٦م، و١٩٣٣م، و١٩٣٤م، و١٩٤٤م. والجدير بالذكر إن الفرقة فى رحلتها الثانية عام ١٩٣٣م، عرضت مسرحياتها فى مدن: يافا، وحيفا، والقدس، ونابلس. كما أن رحلتها الأخيرة عام ١٩٤٤م كانت تضم مجموعة كبيرة من الفنانين، أمثال: إسماعيل ياسين، ومحمود شكوكو، وإبراهيم حمودة، وسعاد حسين، وفايزة رشدي، وبديعة صادق، ولطيفة نظمي، وسونيا رشدي، ورجاء محمد، وعبد العزيز أحمد، وفهمى أمان، وعبد الحليم القلعاوي، والدكتور سعيد[١].

كذلك زارت فلسطين الفرقة المسرحية ل(سلطانة الطرب) منيرة المهدية فى عامى ١٩٢٦م، و١٩٣٤[٢]. أما فرقة أمين صدقى فقد زارتها عام ١٩٢٧م[٣]، وفرقة فاطمة رشدى زارتها عام ١٩٢٩م، وقدمت مجموعة مسرحيات، منها: السلطان عبد الحميد، وغادة الكاميليا، والنسر الصغير، وجمال باشا، وجان دارك، وتيودورا، وأما ليلة[٤]. وفى عام ١٩٣٤م زارت فرقة عكاشة فلسطين وقدمت عدة عروض مسرحية[٥]، وفى العام نفسه زارتها فرقة اتحاد المَمثلين[٦].

---

(١) ينظر: مجلة (ألف صنف وصنف) - القاهرة - ١١/ ٥/ ١٩٢٦م، وجريدة (المقطم) ١٣/ ٨/ ١٩٣٣م، ومجلة (المصور) ١٤/ ٩/ ١٩٣٤م.

(٢) ينظر: مجلة (ألف صنف وصنف) ٢٧/ ٧/ ١٩٢٦م، ومجلة (روز اليوسف) ٢٨/ ٧/ ١٩٢٦م، وجريدة (المقطم) ٢١/ ٦/ ١٩٢٧م، ٢٧/ ٧/ ١٩٣٤م.

(٣) ينظر: مجلة (ألف صنف وصنف) ٢/ ٢/ ١٩٢٧م.

(٤) ينظر: جريدة (المقطم) ٢٢/ ٣/ ١٩٢٩م، ١٣/ ٤/ ١٩٢٩م.

(٥) ينظر: جريدة (المقطم) ٢٦/ ٥/ ١٩٣٤م.

(٦) ينظر: جريدة (المقطم) ٦/ ٨/ ١٩٣٤م.

وإذا كانت الفرق السابقة زارت فلسطين وعرضت فى مدنها بعضًا من مسرحياتها، إلا أن نشاطها المسرحى كان محدودًا بأيام الزيارة. أما فرقة مصر - لصاحبها حسن شلبى - فتعدُ من أهم الفرق المسرحية المصرية، التى زارت فلسطين والأقطار الشامية؛ حيث عرضت مسرحياتها طوال موسم كامل ١٩٣٠/ ١٩٣١، وكانت الفرقة تتكون من المخرج عمر وصفي، ومجموعة من الممثلين، أمثال: سرينا إبراهيم، وعلية فوزي، والشيخ محمد إدريس، وبشارة واكيم، وعبد العزيز خليل، وعباس فارس، وإبراهيم الجزار، ويوسف حسن، وسيدة فهمي، وفردوس محمد، وفكتوريا سويد، ولطيفة أمين[1].

المرحلة الأولى للقضية الفلسطينية

ظهرت القضية الفلسطينية - فى مرحلتها الأولى - منذ وعد بلفور عام ١٩١٧م - القاضى بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين - إلى نهاية فترة الانتداب البريطانى (١٩٢٠م - ١٩٤٨م)، وفى هذه المرحلة تعرض الشعب الفلسطينى - مسلمون ونصارى - إلى الاضطهاد من قبل اليهود الصهاينة. والمسرح المصرى لم يقف مكتوف الأيدى أمام هذه القضية، ولم يكتف بإرسال الفرق المسرحية إلى فلسطين - كما مرّ بنا - بل وقف موقفًا إيجابيًّا مع الفلسطينيين وقضيتهم فى مرحلتها الأولى؛ فقد لاحظ الأدباء المصريون أن أفعال اليهود تؤثر سلبًا فى الثروة الزراعية الفلسطينية، حتى أصبح حال الفلاح الفلسطينى مرضًا اجتماعيًّا يحتاج إلى العلاج؛ لذلك أعلن يوسف الخطيب - سكرتير (حلقة الأدب) التابعة لجريدة الأهرام - فى عام ١٩٢٢م عن مسابقة

(١)ينظر: جريدة (مصر) ١٢/ ٨/ ١٩٣٠م، ٢٢/ ٨/ ١٩٣٠م.

فى التأليف المسرحى يتقدم إليها الكُتّاب العرب لكتابة مسرحية تحض على استئصال أحد أمراضنا الاجتماعية ومنها (حالة الفلاح الفلسطيني)، والفائز سيُمنح خمسمائة نسخة مطبوعة من المسرحية مجانًا[1].

وهذه المسابقة تُعد أول نموذج عملى مصرى لأدب المقاومة ضد ممارسات العدو الصهيوني. أما النموذج الثانى فكان فى العام التالى ١٩٢٣م، عندما كتب يوسف العيسى - بعد أن شاهد مسرحية صلاح الدين الأيوبى - مقالة حزينة على مدينة القدس، عندما قارن بين ما شاهده فى المسرحية من احترام المسلمين وقائدهم صلاح الدين لنصارى مدينة القدس فى الماضي، وبين ما يُعرض حاليًا فى سينما صهيون بالقدس من أفلام مسيئة للنبى عيسى - عليه السلام - ودينه[2].

أما النموذج الثالث لتعامل المسرح المصرى مع القضية الفلسطينية - فى هذه المرحلة - فتمثل فى موقف يوسف وهبي، عندما أقام حفلة خيرية بمسرحه فى ديسمبر ١٩٢٩م، وعرض فيها مسرحيته (كرسى الاعتراف)، ثم تبرع بإيرادها لمنكوبى عرب فلسطين[3]. والمقصود بالمنكوبين - فى هذه الفترة - الجرحى والقتلى والشهداء والمحكوم عليهم بالإعدام ممن دافعوا عن (حائط البراق) - بوصفه من الأمانات الإسلامية المقدسة - فى ثورة عُرفت وقتئذ ب "ثورة البراق".

أما النموذج الرابع، فتمثل فى فرقة أولاد عكاشة عام ١٩٣٦، عندما لبت نداء الموسيقى - عازف الكمان الشهير - سامى الشوا بمساعدة منكوبى فلسطين،

---

(١) ينظر: جريدة (الأهرام) - القاهرة - ٥/ ١٢/ ١٩٢٢م.
(٢) ينظر: مجلة (سركيس) - القاهرة - فبراير ١٩٢٣م.
(٣) ينظر: جريدة (البلاغ) - القاهرة - ١١/ ١٢/ ١٩٢٩م.

فسافرت الفرقة وقدمت ليلة تمثيلية، خُصص دخلها إلى أهل فلسطين. ولاقت الفرقة نجاحًا كبيرًا، وحفاوة بالغة من أهلنا فى فلسطين[1].

المرحلة الثانية للقضية الفلسطينية

بدأت المرحلة الثانية - من القضية الفلسطينية - مع نكبة فلسطين عام ١٩٤٨م، وحتى قبيل هزيمة يونيو ١٩٦٧م. وقد تعامل المسرح المصرى مع القضية فى هذه المرحلة تعاملاً عاطفيًا حماسيًا فى بادئ الأمر، ثم طوّر تعامله ليصبح تعاملاً مأسويًا، يعكس مأساة فلسطين فى واقعها المرير المفروض عليها. فبعد إعلان الكيان الصهيونى بأن فلسطين أصبحت دولته، قام كل من فتوح نشاطي، ونيروز عبد الملك بتأليف مسرحية (العائد من فلسطين) عام ١٩٤٨م، التى عرضتها الدولة ممثلة فى (الفرقة القومية) على خشبة المسرح القومى فى موسم ١٩٤٩/ ١٩٥٠م بطولة أحمد علام وإخراج فتوح نشاطي. والمسرحية لم تعالج نكبة فلسطين بصورة مباشرة، بل رمزت لها بأحد الضباط المصريين العائدين من حرب ١٩٤٨م، بعد أن سبقه خبر غير صحيح يقول بوفاته[2]، ولكنه يعود حيًا بعد شهرين؛ وكأن المؤلفَين أرادا أن يقولا إن فلسطين ستعود، وأن خبر ضياعها خبر كاذب، وقريبًا ستعود إلى الأمة العربية.

وهذا التعامل نجده أيضًا عند داود جمجوم فى مسرحيته (فلسطين للعرب)، التى ألفها عام ١٩٤٨م، وعرضها من خلال فرقته (فرقة جمجوم

---

(١) ينظر: صحيفة (الفتح) - السنة الحادية عشرة - ٢٧/ ١٠/ ١٩٣٦م - ص(٨، ٩).

(٢) يحتفظ المركز القومى للمسرح والموسيقى فى مصر بنسخة - غير منشورة - مكتوبة بالآلة الكاتبة لمسرحية (العائد من فلسطين) تأليف فتوح نشاطي، ونيروز عبد الملك بتاريخ ١١/ ١٢/ ١٩٤٨م.

للتمثيل والموسيقى والسينما)، وهى مسرحية تاريخية واقعية من صميم حياة فلسطين العربية، تبتدئ حوادثها من عام ١٩١٩م حتى عام ١٩٤٨م[١].

أما عبد الرحمن الساعاتى - مؤسس المسرح الإسلامى فى جمعية الشبان المسلمين - فقد تعامل من القضية الفلسطينية - فى هذه المرحلة - تعاملاً دينيًّا حماسيًّا من خلال تأليفه لمسرحية (صلاح الدين الأيوبى منقذ فلسطين) عام ١٩٤٨م[٢]، والتى مثلها فريق التمثيل بالجمعية، وقد كتب المؤلف إهداءً لمسرحيته، قال فيه:

"إلى شهداء فلسطين الأبرار، وأبطال الجهاد المقدس لإنقاذ الوطن الإسلامى وتحرير الأرض المقدسة. إلى المجاهدين والمشردين من أبناء العمومة وإخوان العقيدة والإسلام أهل فلسطين المجاهدة الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله. أهدى هذه القصص من تاريخ الإسلام المجيد، وهذه الصفحة من سيرة البطل الفاتح صلاح الدين التى جلجلت فى يوم الزحف، وأعدت لتعمل عملها مع قصف المدافع وأزير الطائرات لإدراك الغاية ورفع الراية وإصابة الأهداف. وما زال الأمل إن شاء الله معقودًا، والرجاء فى الله تبارك وتعالى أكيدًا أن يعيد الغرباء إلى أوطانهم، ويرفع الظلم عن ديارهم ما سلكوا سبيل المجاهدين، وأقروا بنيهم وذراريهم سيرة صلاح الدين".

المسرحيات الثلاث السابقة كُتبت فى عام النكبة نفسه ١٩٤٨م، فجاءت عاطفية حماسية لتعالج صدمة إعلان دولة الكيان الصهيوني، ولتخفف أمر

---

(١) ينظر نص هذه المسرحية فى إدارة التراث بالمركز القومى للمسرح.

(٢) وهذه المسرحية يحتفظ المركز القومى للمسرح والموسيقى فى مصر بنسخة منها - غير منشورة - مكتوبة بالآلة الكاتبة، من تأليف عبد الرحمن الساعاتى أو عبد الرحمن البنا، وهو شقيق الشيخ حسن البنا. والمسرحية مؤرخة بعام ١٩٤٨م.

الصدمة فى نفوس الفلسطينيين والعرب أجمعين فى محاولة إعادة الثقة بأن فلسطين ستعود، وسيعود جميع المشردين إلى ديارهم فى فلسطين. هذا الشعور بدأ يتبدد مع مرور الزمن، وضعف معه الأمل فى العودة، خصوصًا وأن المخيمات اكتظت باللاجئين والمشردين. هذا الوضع الجديد، وهذا المفهوم الجديد للقضية الفلسطينية، تطرق إليه المسرح المصرى من خلال مسرحية (عائدون)، التى ألفها محمد مصطفى شبانة عام ١٩٦١م، ليحكى من خلالها مآسى اللاجئين الفلسطينيين فى المخيمات، وما يعانونه من جوع وإذلال وموت ومرض، وشعور بالظلم. ومن أمثلة ذلك، الحوار التالى - الذى يدور فى خيام اللاجئين - بين الابنة هيفاء، ووالدها شحتة.

هيفاء: ليتنا نموت يا أبتاه.. ليت الموت يخلصنا من هذه الحياة القاسية.

شحتة: هيفاء! ما هذا الهراء الذى اسمعه.. ما عهدت منك مثل هذا القنوط من قبل، تذرعى بالصبر يا ابنتي.. الصبر.

هيفاء: لم أعد أطيق صبرًا يا أبتاه.. لم أعد أحتمل هذه الحياة القاسية.. فقر.. مرض.. هوان.. حرمان.. تشرد.. ولا مأوى.. ولا وطن[1].

هذه المآسى التى تعرض لها اللاجئون فى المخيمات، لم تنل من عزيمتهم، بل زادتهم إصرارًا وإيمانًا بالعودة إلى ديارهم فى فلسطين، وهذا هو هدف مؤلف المسرحية، الذى عبر عنه فى (نشيد العودة) كخير ختام للمسرحية، وتقول كلماته:

---

(١) محمد مصطفى شبانة - مسرحية عائدون - مجلة (الأدب) - القاهرة - يناير ١٩٦١م - ص(٤٩١).

عائدون.. عائدون

إننا لعائدون

فالحدود لن تكون

والقلاع والحصون

فاصرخوا يا نازحون

إننا لعائدون

للديار.. للسهول.. للجبال

بالدماء.. والفداء.. والإخاء والوفاء

عائدون.. عائدون

إننا لعائدون[1].

وفى عام ١٩٦٤م، نشر الناقد عبد الفتاح البارودى مقالة - فى مجلة الرسالة - بعنوان (فلسطين على المسرح)[2]، حدثنا فيها عن أهمية المسرح فى إظهار

---

(١) السابق - ص(٤٩٤)، والجدير بالذكر أن هناك مسرحية أخرى تنتمى إلى هذه المرحلة، وهى مسرحية (الطريق إلى فلسطين)، كتبها محمد أبو العلا عام ١٩٦٣م، ولكننى لم أطلع على نصها، ولكنها مسجلة فى سجلات الرقابة المسرحية المصرية، تحت رقم وارد (١٣٢) بتاريخ ٢/ ١٠/ ١٩٦٣م.

(٢) ينظر: عبد الفتاح البارودى - فلسطين على المسرح - مجلة (الرسالة) - الإصدار الثانى - ٢٤/ ٩/ ١٩٦٤م - ص(٤٢ - ٤٤).

صورة فلسطين، من خلال مجموعة مسرحيات، منها: مسرحية (لا حدود) تأليف محمود شعبان - وإخراج فوزى درويش - وهى تحكى عن خروج أسرة من يافا، ولكنها لم تستطع العودة بسبب قوى البطش والاستعمار، التى وضعت حدودًا مصطنعة بين الأسرة ووطنها. وينادى المؤلف بضرورة إزالة الحدود الاستعمارية المصطنعة. ولعل هذه المسرحية تُعد أول نص يستشرف المستقبل فيما يتعلق بالجدار العازل الآن!!

أما مسرحية (قمة النصر)، فيخبرنا عنها - عبد الفتاح البارودى - بأنها قُدمت على مسرح سيد درويش بالإسكندرية - وهى مسرحية، قدمها الأطفال فى لوحات فنية، بحيث قام الأطفال بعرض لوحة فنية خاصة بكل بلد عربي، ومن بينها فلسطين وما تعانيه، والتى لاقت استحسان الجمهور.

المرحلة الثالثة للقضية الفلسطينية

تبدأ هذه المرحلة من هزيمة يونيو ١٩٦٧م، وحتى قبيل انتصار أكتوبر ١٩٧٣م، وهى الفترة المطلوبة فى مجلد هذا المشروع. ومن المعروف أن هزيمة يونيو كانت صدمة كبرى للعرب بصفة عامة، وللمصريين والفلسطينيين بصفة خاصة. وهذه الصدمة لم نفق منها إلا بعد زمن طويل، والقائمون على المسرح المصرى لم يصدقوا الهزيمة فور وقوعها؛ لذلك تفاعل البعض معها بالحث على المقاومة وحمل السلاح. أما البعض الآخر فحاول تجنبها، والعزف على وتر الدين، أو الهروب إلى التاريخ واستلهام التراث، وتبعًا لذلك أخذت القضية الفلسطينية مفهومًا جديدًا، تمثل إما فى الدعوة إلى المقاومة وحمل السلاح، أو التمسك بالدين انتظارًا للمعجزة الإلهية فى عودة الأرض!!

صدمة الهزيمة

قابل مسرح الدولة الهزيمة بالصمت، فنشر بهاء طاهرة مقالة عاب فيها على المسرحيين ومسارح الدولة وبالأخص المسرح القومى عدم مشاركته فى الأزمة بمسرح ضد العدوان أو مسرح يتواكب مع الأحداث السياسية[1]، كما نشرت مجلة (المسرح) المصرية بيانًا تحت عنوان (المسرحيون الألمان يستنكرون العدوان الإسرائيلي)، قالت فيه:

"تقدم مجلس مسرح برلين برياسة السيدة هيلينا فايجل أرملة بريخت إلى مجلس إدارة نقابة المسرحيين بألمانيا الديمقراطية بقرار يدين بقوة العدوان الإسرائيلى على الدول العربية هذا نصه: إن صراع الطبقات لم ينحسر فى الثلث الأخير من القرن العشرين، بل اتخذ فى جميع أنحاء العالم صورة أكثر عنفًا وضراوة. ولا يخفى علينا أنه حينما تشتد أساليب التفرقة العنصرية، إنما يراد بذلك تحويل الأنظار عن الصراع الطبقي. ففى فيتنام واليونان وبرلين الغربية- كما هو الحال فى الشرق الأوسط - نجد أن أساس المشكلة هو الصراع الطبقي؛ ولهذا ينبغى أن نميز بين القوى التقدمية التى تواكب التاريخ، وبين تلك التى تحاول أن تعرقل تطور المجتمع البشري؛ لذلك نعلن تضامننا مع الشعوب العربية التى استطاعت أن تطرح عنها أغلال الاستعمار وشبه الاستعمار المقنع. واتخذت موقفًا معاديًا للإمبريالية فى الصراع من أجل السلام فى العالم. إننا نعلن تضامننا كذلك مع الشيوعيين وأنصار السلام فى إسرائيل، فقد صرحوا فى الكنيسيت أن حرب إسرائيل ليست سوى عدوان لا يخدم إلا مصالح الإمبريالية

(١) راجع: بهاء طاهر - ملاحظات على مشروع حول الموسم المسرحى الجديد - مجلة (الكاتب) - السنة السابعة - عدد ٧٨ - سبتمبر ١٩٦٧م - ص(١١٨ - ١٢٢).

ويشكل تناقضًا مع المصالح الحقيقية لإسرائيل. ونحن نعتقد أن المشاكل السياسية لا يمكن أن تحل بالحروب العدوانية ونرفض الحرب كوسيلة لحل الخلافات العالمية. ونعتقد أيضًا أن التغاضى عن الاعتداءات المسلحة إنما يحفز المغامرين العسكريين فى العالم كله لارتكاب المزيد. ولا يخفى علينا أن الدوائر الحاكمة فى ألمانيا الاتحادية تقامر اليوم بالتفكير فى شن حرب وقائية ضد ألمانيا الديموقراطية والبلدان الاشتراكية. من أجل هذا ندين - نحن العاملين فى حقل المسرح بألمانيا الديموقراطية - العدوان الإسرائيلى ونضم صوتنا إلى جانب الاتحاد السوفيتى فى مطالبته بانسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضى المحتلة"[1].

تفاعل المسرحيين مع القضية بعد النكسة

أول من تفاعل مع القضية، كان الدكتور رشاد رشدي، عندما نشر مسرحيته (الزهور لا تذبل أبدًا) فى مجلة (المسرح) بتاريخ يونيو ١٩٦٧م، وقد كتبها تحت تأثير الواقع السياسى بعد الهزيمة، وحدد مكان الأحداث بأنه: "بلدة عربية بها مزرعة كبرى فى واحة تبعد عن حدود الأردن بنفس المسافة التى تبعد فيها عن حدود إسرائيل". وحدد الزمان بقوله: "بعد اغتصاب الصهيونيين لفلسطين"[2].

وهدف المسرحية مقاومة البلدات العربية فى فلسطين والأردن وما بينها. أى أن المؤلف، تناول قضية فلسطين من خلال المقاومة وهى الحل الوحيد

---

(١) مجلة (المسرح) - السنة الرابعة - عدد ٤٨ - ديسمبر ١٩٦٧ - ص(٦٢).
(٢) رشاد رشدى - مسرحية الزهور لا تذبل أبدًا - مجلة (المسرح) - عدد خاص بالمعركة - عدد ٤٢ - يونية ١٩٦٧م - ص(٢٤ - ٤٨).

الذى رآه ضد الشخصيات الإسرائيلية الموجودة فى المسرحية، ومنها: الكولونيل ليفي، الكابتن مائير، الكابتن إيبان، ليفتنت جاعون، الكابتن حاييم، مسيو ليشع.

أما موضوع المسرحية - كما نُشر فى المجلة - فيحكى عن "قوة إسرائيلية تحتل قرية أردنية فى قلب الصحراء وقريبة من الحدود وتملك مزرعة للفواكه. ويحاول القائد الإسرائيلى أن يستميل العمدة العربى الشيخ فيفشل فى استمالته، فيحاول أن يفرض عليه موقف التعاون مع العدو، فيفشل أيضًا. وسبب فشله هو إيمان العمدة بالديمقراطية، وبأنه ممثل لإرادة شعب القرية الذى انتخبه لمنصب العمدة؛ ولهذا فإنه إذا تعاون مع المحتلين فسيكون خائنًا لهذه الإرادة التى انتخبته وعينته. وسبب احتلال القرية هو رغبة العدو فى استغلال مزرعة الفواكه التى تملكها القرية أو تعمل فيها. وتبدأ المقاومة حين يقتل أحد العرب ضابطًا إسرائيليًّا بالفأس لأنه وجه إليه أمرًا، بينما العربى لا يحب أن يوجه إليه الناس الأوامر، فيقبض عليه ويعدم علنًا فى الميدان بالرصاص. وبينما تتعاظم المقاومة يصاب بعض ضباط العدو بالانهيار العصبى نتيجة حرمانهم من الحياة الإنسانية العادية وتحويلهم إلى تروس جامدة فى آلة الحرب. ثم تصل المقاومة إلى مرحلة ناضجة حين تبدأ الطائرات المصرية فى إلقاء باراشوتات صغيرة تحمل حمولات من الديناميت القوى السهل الاستعمال ومن السموم ليستخدمها الأهالى فى أعمالهم التخريبية ضد المحتلين، طبقًا للطلب الذى أرسله أهل القرية إلى المصريين عن طريق أحد الأهالى الذى وصل إلى مصر. وإزاء تعاظم أعمال المقاومة وانتظامها يقرر القائد الإسرائيلى أن ينفذ حكم الإعدام فى العمدة الذى كان بستانيًّا فيما مضى من عمره، والذى ظل هادئًا ساكن الأعصاب يردد شعاره الذى يختتم به المسرحية وهو يمضى ليواجه الموت، قائلاً: هذه الزهور.. هذه الزهور.. لا تذبل أبدًا".

الكاتب الثاني، الذى تناول قضية فلسطين فى كتاباته المسرحية، كان الدكتور يسرى خميس، الذى كتب مسرحية (الانفجار) فى يوليو ١٩٦٧م، وهى "مسرحية تسجيلية عن مأساة فلسطين، وتدور أحداثها حول انفجار تخريبى قام به الإسرائيليون فى السوق العربية فى مدينة حيفا العربية بعد الاحتلال الإسرائيلى للمدينة. وتتخذ المسرحية شكل المحاكمة للبحث عن مرتكب جريمة التفجير وأسباب ارتكابها من خلال ثلاثة من القضاة، الأول إنجليزى يرأس المحكمة ويمثل دولة الانتداب التى رعت عملية اغتصاب فلسطين وتسليمها للإسرائيليين، والثانى إسرائيلى يمثل المجرم والدفاع عن الجريمة، وعربى يمثل الاتهام ويعرض الحقيقة التى يحرص اليهودى على تزييفها حتى لا يدان أمام ضميره هو أولاً وأمام ضمير العالم بانتهاك حياة الإنسان وأخلاقياته وحقوقه، ثم الثالث المندوب السامي، الذى يمثل دولة الانتداب أيضًا ويجلس فى المحكمة حكمًا أعلى ليحاول أن يجد حلاً عادلاً لقضية الانفجار"[1].

وهذه القضية البسيطة (قضية الانفجار) فى السوق العربى "تتحول من خلال المسرحية إلى قضية الوطن المسلوب كله، وقضية التاريخ المنتهك والمستقبل الضائع لشعب بأسره، وقضية الموت التدريجى البطيء فى معسكرات الاعتقال التى أقامتها سلطات الاحتلال للمشاغبين من العرب، الذين ناوأوا سياسة الإنجليز فى تشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين، وقضية الموت الجماعى السريع البشع، الذى تكفلت به عصابات شتيرن والهاجناة وإيتزل وغيرها التى تكون منها فيما بعد جيش دولة إسرائيل، والتى دمرت فى سنة ١٩٤٨م وحدها ١٦٩ قرية عربية، وقتلت أكثر من عشرين ألف عربي، وشردت أكثر من نصف

---

(١) سامى خشبة - البحث عن مسرح للمقاومة: مسرحيات القتال أو الصراع على الأرض - مجلة (الآداب) - السنة ١٧ - عدد ٣ - مارس ١٩٦٩م - بيروت - ص(١٥٨).

مليون من العرب وأجبرتهم على الفرار من قراهم ومدنهم ومزارعهم وحولتهم إلى لاجئين فى معسكرات التجميع التى تتفق عليها الأمم المتحدة! هكذا يصر القاضى العربي: ليست القضية قضية الانفجار وحده، وإنما هى قضية هذا الوطن المسلوب، والتاريخ الزائف والمستقبل المضيع لشعب بأسره تهدده الإبادة بالرصاص والديناميت والجوع والمرض. أما القاضى الإسرائيلى فيصر على أن القضية هى قضية الانفجار: من الذى ارتكبه؟ ويجيب فى مهارة شيطانية فى تلفيق الكلمات: إنهم العرب ولا شك بهدف تحطيم روح التعاون مع اليهود وإعاقة فرصة إقامة حياة مشتركة بينهم يحكمها العدل والإخاء والمحبة.. حسب قرارات مجلس الأمن! أما القاضى الإنجليزى ومعه مندوبه السامي، فيخطبان كثيرًا عن إيمان بلادهما بالديمقراطية والسلام وحق تقرير المصير. ولأجل كفالة الديمقراطية فهما يصران على تجنب أعمال الشغب التى يثيرها العرب فى وجه سلطات الاحتلال، ولإقرار السلام فلا بد من نزع سلاح العرب حتى لا يلجأوا إلى أعمال انتقامية ضد الأعمال الفردية السيئة التى قد يقوم بها بعض اليهود أو الإنجليز اضطرارًا، ولإقرار حق تقرير المصير"[1].

"تحول القضية إلى مجلس الأمن.. لاتخاذ قرار عاجل. ولكن الحقيقة لا يمكن أن تتضح من أحاديث القضاة وحدهم أو المحققين.. فلا بد من شهود إذن، والشهود بطبيعة الحال هم من وقع الانفجار بينهم لكى يقتلهم، وهم من صنعوا الانفجار، الشهود هم الضحايا وجلادوهم. وفى مشاهد يمتزج فيها الشعر بكثافته ونفاذه، مع الحقيقة التقريرية بوضوحها المعتم وبساطتها، فى هذه المشاهد التى سماها المؤلف بالأغنيات، وسمى الأغنيات باسماء واقع

(١) السابق - ص(١٥٨).

أصحابها: أغنية الاسماك، أغنية البرتقال، أغنية البوتاس، أغنية منفردة، أغنية اللاجئين، من هذه المشاهد، نستمع فى الأغنيات الثلاث الأولى إلى قصة شعب فلسطين العربى نفسه، نستمع إلى حكايات دير ياسين وحيفا وصفد وبيسان وطبرية ويافا وعكا، ثم فى الأغنية المنفردة نستمع إلى صوت الجندى الإسرائيلى الذى وضع المتفجرات فى السوق العربية. إنه يهودى من ألمانيا. قالوا له إن فلسطين هى أرض الميعاد؛ حيث الجنة تنتظره، وحيث لم يجد الجنة ولم يجد حتى الفرصة للعمل المجزي، ولكنه وجد السلاح، وقيل له لكى تأخذ قطعة أرض فاقتل من تجده فيها، أو لكى تجد عملاً فاقتل من يشغله. وهكذا يتحول اليهودى الألمانى الذى هرب من جلاديه النازيين، يتحول إلى جلاد هنا يصنع الموت للآخرين"[1].

"وفى الأغنية الأخيرة كان الشاهد طبيبًا فى معسكرات اللاجئين. ولكن مأساة الوباء والجوع حيث وجبة الفرد فى اليوم رغيفان وقطعتان من السكر وملعقة أرز وخمس حبات من الفول، وحيث يعيش الناس فى الجحور أو فى خيام صغيرة خصصت كل واحدة لعشرين شخصًا فيفضلون عليها العراء، وحيث يوجد مرحاض واحد لكل خمسمائة شخص وتصرف الأمم المتحدة حذاء واحدًا لكل مائة رجل. هذه المأساة قررت للطبيب مصيره، وهو أن يرفض كل هذا، وأن يكف عن ممارسة الطب لكى يمارس الثورة! فالعنف المجرم وسحق إنسانية الإنسان وسلبه كل مقومات بشريته بعد طرده من وطنه بهدف واحد، أن يقضى عليه الموت لكى ينقرض جنسه كله، هذا العنف لا تواجهه الكلمات ولا المشارط ولا الأدوية، إنما يواجهه عنف مثله، ثورى وإنسانى

(١) السابق – ص(١٥٨، ١٥٩).

ونبيل، يقول فى المسرحية: (إن مهنتى الجديدة هى الثورة.. والثورة فقط.. والثورة المستمرة.. والعنف والقسوة حتى يستقر الوضع وحتى يرتد للعالم المعوج عقله).. الطبيب اكتشف عبث مقاومة السل والدوزنتاريا والأسخربوط والبلاجرا والتراخوما بخمس حبات من الفول فى اليوم. والذى اكتشف العلاج الحقيقى لكل ذلك: الثورة أن يستعيد الإنسان أرضه بحد السلاح، ويستعيد معها تاريخه وحقه فى الحاضر والمستقبل. لا ليتحرر من المرض والموت فقط، وإنما ليتحرر أيضًا من الخوف والتواكل والعجز بأن يفتح هذه الأرض بالسيف بعد أن فتح جبهتها قرونًا طويلة بالمحراث"[1].

الكاتب المسرحى الثالث - الذى تفاعل مع قضية فلسطين بعد النكسة - كان فؤاد الطوخى فى مسرحيته (فلسطين للعرب) أو (بيت المقدس)، التى كتبها بعد هزيمة يونيو مباشرة، ومثلتها جمعية الشبان المسلمين فى سبتمبر ١٩٦٧م[2]. والمسرحية تدور أحداثها فى زمن هرقل وسيطرة الروم على بيت المقدس، وما دار فى هذا الزمن من حروب بين الروم وعمرو بن العاص، وانتصار المسلمين وما تم بعد ذلك من صلح حتى أصبحت فلسطين للعرب. وقد صاغها المؤلف بأسلوب إسلامى أبان فيه سماحة الإسلام وأخلاق المسلمين وصفاتهم الحسنة، وأكد على نماذج من المسيحيين واليهود ممن اعتنقوا الإسلام فى تلك الفترة. أى أن الكاتب غلّف الموضوع بروح إسلامية

---

(١) السابق - ص(١٥٩).

(٢) اعتمدت فى هذه المسرحية على نصين مكتوبين بالآلة الكاتبة، محفوظين فى مخازن الرقابة المسرحية فى مصر: الأول بعنوان (فلسطين للعرب) ورقم تصريحه - لجمعية الشبان المسلمين - (٢٠٣) بتاريخ ٧/ ٩/ ١٩٦٧م، والآخر بعنوان (بيت المقدس) ورقم تصريحه - للمسرح الإسلامى التابع للمركز العام لجمعيات الشبان المسلمين - (٢٣) بتاريخ ٨/ ٢/ ١٩٧٨م.

يصل إلى فكرته بأن الحُكم الإسلامى لفلسطين هو الحُكم الأمثل. وعلى الرغم من وضوح هذه الفكرة فى المسرحية؛ فإن المؤلف أكد فى مواضع كثيرة بأن فلسطين للعرب، وستظل للعرب.

فعلى سبيل المثال نجد الفتاة (سحر) تدفع (بشرًا) إلى الانتقام من أجل الوطن لا من أجل الثأر، قائلة له: ".. . قبل أن تفكر فى الانتقام لأبى وأمك وأخوتك، يجب أن تفكر فى الانتقام لوطنك.. لقد أظلتنا سماؤه ونشأنا فى أحضانه. فلا أقل من أن نخلصه من هؤلاء المستعمرين من الفرس والروم ومن هؤلاء الدخلاء من اليهود.. إننا أهل البلد الأصليون. فلنضع إذن نصب أعيننا أن فلسطين ليست للفرس ولا للروم ولا لليهود.. فلسطين للعرب"[1]. وهذا المعنى ذكره أيضًا الأب (بازل) - أحد قساوسة القدس فى المسرحية - عندما بدأ جيش عمرو بن العاص يدخل مدينة القدس، قائلاً: "اللهم هذا يوم من أيامك.. فاللهم ثبت أقدام العرب، وأدم المودة والتعاون والإخاء بين المسلمين والمسيحين.. اللهم بارك هذا الارتباط المقدس وأيده بنصر من عندك، حتى تصبح فلسطين للعرب"[2].

أما الكاتب الرابع، فكان عبد الرحمن الشرقاوى فى مسرحيته (وطنى عكا)، التى كتبها بعد هزيمة يونيو، وعُرضت على المسرح القومى فى نوفمبر ١٩٦٩م إخراج كرم مطاوع. والشرقاوى فى هذه المسرحية قام بدور دبلوماسى فى تخدير الجمهور والقراء؛ حيث لجأ إلى التراث والتاريخ يستمد منه العون لإنقاذ فلسطين، بدلاً من مواجهة الحقيقة وإظهارها بصورتها الواقعية، وهذا ما

---

(١) مسرحية (بيت المقدس) - السابق - ص(٦).
(٢) السابق - ص(٣٧).

عبر عنه (حازم) الكهل الفلسطينى الذى يعيش فى المخيمات، قائلاً.

"إيه يا قبر صلاح الدين.. آه!

إيه يا روح صلاح الدين.. يا حطين يا عزة أمجادى النبيلة

أيها البوق الذى يعزف فى زهو يثير الكبرياء

يا نفيرًا لم يزل يبعث فى الأعماق إحساسًا جليلاً بالإباء

يا انتصارات صلاح الدين يا راياته أخفقن على أرض البطولة

إيه يا روح على بن أبى طالب

هل فى نفحة من روح خيبر

إيه يا خالد قم فأشهر سيوف النور فى هذا الدجى الساجى وكبر

عين جالوت أرجعى عاد التتر"[1].

كذلك حاول الشرقاوى قلب الحقائق، عندما أوهمنا بأن هزيمة يونيو كانت نصرًا لو لم تصدر الأوامر بالانسحاب، وهذا ما عبر عنه - فى المسرحية - الضابط المصرى (علي) قائلاً:

"أنا لست أحمل عار هذا اليوم، لا، لم أنهزم!

أنا لست من صنع الهزيمة يومذاك

---

(١) عبد الرحمن الشرقاوى - وطنى عكا - دار الشروق بالقاهرة - ط١ - ١٩٧٠م - ص(٤٨ - ٤٩).

لم ننهزم أبدًا وآلاف سواى تقدموا وتقدموا تحت السعير!

ورؤوسنا مكشوفة تحت القذائف ينهمرن ولا دروع على الصدور

بالرغم من هذا تقدمنا وأرعبنا العدو ولم نزل متقدمين

وفجأة صدرت أوامر الانسحاب

أنا لم أصدق ما سمعت وقلت هذا لن يكون

وتقدمت قواتنا أيضًا خلال النار والظلمات والروع المحلق والعذاب

وتراجعت قواتهم فرقًا فولوا هاربين

وتقدمت قواتنا والنصر يسكب قدرة سحرية فى كل قلب!

ويجئ أمر مذهل أن ننسحب"[1]!!

وهكذا لجأ عبد الرحمن الشرقاوى إلى التاريخ والتراث لمعالجة القضية الفلسطينية، كما لجأ إلى قلب الحقائق كى نتقبل الهزيمة ونسمو فوقها حتى نسير للأمام، وذلك من خلال بعض الشعارات المطلوبة وقتئذ، وهذا التصرف الخادع أكده ناشر المسرحية – محمد المعلم – فى كلمته المنشورة على غلاف المسرحية، قائلاً فيها:

"هذه المسرحية عمل فنى صادق.. تحرر.. وتخطى الأساليب التى ألفنا الدوران فى إسارها، ونحن نعرض قضيتنا الكبرى وصراعنا المصيرى مع إسرائيل. فبصدق وواقعية.. لنا أو علينا.. يتناول حقبة من هذا الصراع، هى ما

---

(١) السابق – ص(٦٠).

بين صيف ١٩٦٧م، ١٩٦٨م.. ويعرض الثورة الفلسطينية فى بعثها الجديد.. فكرًا.. وعناء وفداء.. فى مشاهد ومواقف أخاذة نفاذة.. تتفتح لها كل العقول، وينفعل بها الضمير الإنساني.. فلا صياح.. ولا انفعال.. ولا تعصب! بل فكر متفتح يأخذ ويعطي.. وحوار حى متجدد مع النفس قبل الغير.. وبشرية طبيعية لا زيف فيها ولا طلاء.. تحب وتحلم تخطئ وتصيب تتعثر وتتعلم.. وتناقش الموت وتقدر الحياة! ثم إنسانية باهرة تتحسس عسى أن يكون بين الأعداء بعض الشرفاء.. فلا يستبد بها حقد أو يعميها تعصب.. بل تتعاطف وهؤلاء الشرفاء إذ تعثر عليهم بين الأعداء !.. (لمحة بارعة.. تفيد منها الثورة حتى بين بنيها!) وينساب فى كل المشاهد والفصول.. منطق الحق والعدل.. منطق الإنسان وقد حرم حق الإنسان فى أن يكون له وطن ويكون له تراب، وفى أن يعيش كما يعيش الآخرون، لا أن يبقى شريدًا لاجئًا (يساوم ساسة الدنيا عليه أجمعين)! ويشدنا شاعرنا الفنان عبد الرحمن الشرقاوى وهو يمضى بنا فى وطنى عكا التى صاغها وسكب فيها من صدق روحه وشرف ضميره وقوة وجدانه، ما خرج بها عملاً فنيًّا كبيرًا.. جديرًا بأن يترجم إلى لغات العالم.. فتنفتح له العقول.. كل العقول، وينفعل به الضمير الإنساني.. حيثما يكون"[1].

الكاتب الخامس، كان ألفريد فرج فى مسرحيته (النار والزيتون) التى نشرها فى يناير ١٩٧٠م، وبدأها بكلمة قال فيها: "بكل ود وتقدير أشكر حركة التحرير الفلسطينية (فتح) إن أتاحت لى زيارة مواقع العمل الفدائى والاتصال عن قرب بأبطال المقاومة الفلسطينية وضحايا العدوان الصهيوني. كما أنوه بكل إعجاب وعرفان بالجهود التى يبذلها مركز الأبحاث بمنظمة التحرير

---

(١) السابق – الغلاف.

الفلسطينية، ومكتب الإعلام ومكتب الفنانين بالمنظمة. وأشكر كل من تفضل بمساعدتى فى جمع مادة هذه المسرحية من هيئات وأفراد وأصدقاء. فضلاً عن اعترافى بفضل مؤلفى الدراسات الكثيرة التى ساعدتنى فى عملي". كما كتب المؤلف ملاحظة أو تنبيهًا قال فيه: "نظرًا لصعوبة تنفيذ هذه المسرحية يرجو المؤلف من الفرق العربية المختلفة وفرق الهواة فى مصر عدم إنتاجها إلا بعد استئذانه والرجوع إليه. والمؤلف يؤمن بأن أيعرض لهذه المسرحية لا بد أن يكون فى مستوى القضية الفلسطينية ليتحقق كماله الفنى وفائدته السياسية"[1].

وتحت عنوان (كلمة لا بد منها)، قال المؤلف: "أول ما يتبادر لذهن الكاتب حين يتصدى للقضية الفلسطينية، ليصوغها صياغة مسرحية، هو أن يختار قصة شخصية - ذات دلالة شاملة - لأحد الضحايا أو لأحد المناضلين فى هذه القضية. ثم يبدأ صراع الكاتب مع نفسه ومع خواطره ليتجاوز هذا الشكل الفنى الذى يفرض التخصيص فى حين يريد الكاتب التعميم. أعترف أنى عشت هذا القلق، مشفقًا ومتحرزًا من كتابة قصة رجل واحد، أو قصة مجموعة من الناس، وأنا لا أبغى أقل من طرح قصة شعب كامل. لذلك اجتذبنى هذا الشكل للمسرح الوثائقى أو التسجيلي، وفرض نفسه على المسرح الكلى أو الشامل، بما يضمه من ألوان الفنون التعبيرية مجتمعة: دراما ورقص وغناء وتمثيل إيمائى (بانتومايم) واستعراض ومسرح سحري. آثرت أن يكون بطل مسرحيتى (القضية) بالمعنى الحرفى للكلمة، وأن تكون وسيلتى لطرح القضية هى فنون المسرح بعامة"[2].

---

(١) ألفريد فرج - النار والزيتون.. صور فلسطينية - مجلة (المسرح) - عدد ٦٩ - يناير ١٩٧٠م - ص(٦٦).

(٢) السابق - ص(٦٧، ٦٨).

ومن الملاحظ أن موقف ألفريد فرج، كان مغايرًا فى معالجته لقضية فلسطين فى هذه المسرحية! فعلى الرغم من أنها مسرحية تدعو إلى الحرب وتحرير فلسطين، إلا أن مؤلفها - بشعور اليائس من عودة فلسطين فى الوقت الراهن، لا سيما بعد هزيمة يونيو - أراد أن يسجل الحقائق قبل أن تتغير، وأن يؤكد على المعانى قبل أن تتبدل، وأن يُثبّت التاريخ قبل أن يُزوّر، لذلك لجأ فى مسرحيته إلى تطبيق أسلوب المسرح التسجيلي[1]، فنجده يأتى بالنسب المئوية لسكان فلسطين ويقارنها بنسب الوجود اليهودى من عام ١٩١٨م إلى ١٩٤٨م. كذلك قارن بينهما فى مجال الزراعة والتعليم.. إلخ[2].

وبهذا الأسلوب سجل ألفريد فرج معاناة الشعب الفلسطينى فى سبيل استرداد حقوقه،؛ حيث ذكر تخطيطات اليهود على مر الزمن من أجل الاستيلاء على أرض فلسطين، ثم تطرق إلى وعد بلفور مع ذكر نصه، مرورًا بحرب العصابات وهجرة اليهود إلى أرض فلسطين، والحديث عن مذابح اليهود للقرى الفلسطينية، وما حدث فى نكبة ١٩٤٨م، وهزيمة يونيو ١٩٦٧م.. إلخ، ثم أنهى مسرحيته بصرخة صادمة للجمهور وللقراء بوجوب الاستيقاظ من أجل استرداد الحق الفلسطيني.

---

(١) ومما يؤكد ذلك أن الاسم المكتوب على نص المسرحية الذى قُدم للرقابة أول مرة فى ٣/ ٢/ ١٩٧٠م كان بعنوان (النار والزيتون: صور فلسطينية)، وعبارة (صور فلسطينية) تؤكد أن المسرحية تسجيلية بالفعل، وهى العبارة التى حُذفت من العنوان عندما عرضت المسرحية على خشبة المسرح القومى من إخراج سعد أردش، أو وعندما نشرتها الهيئة العامة للكتاب. والجدير ذكره أن هذه المسرحية قدمتها أيضًا فرقة الغورى المسرحية على قصر ثقافة الغورى إخراج محسن حلمى فى ديسمبر ١٩٨٥م، كما جاء فى وثائق الرقابة المسرحية.

(٢) ينظر: ألفريد فرج - مؤلفات الفريد فرج - الجزء السادس - مسرحيات النار والزيتون، وسقوط فرعون - الهيئة ١٩٨٩م - ص(٥٤، ١١٥، ١٢١).

المجموعة: انتباه! قف!

وإلى القدس تقدم.

افتح الأبواب لحرية بلادنا.

ارفع الرايات ترفرف..

فوق سناكى الفدائيين وعلى رؤوسهم ترفرف

وإلى القدس.. تقدم[1].

وبأسلوب المسرح التسجيلى أيضًا كتب يسرى الجندى مسرحيته (اليهودى التائه)[2] بعد هزيمة يونيو - ليكون الكاتب السادس - وفيها يعطى الأمل فى إنقاذ فلسطين من براثن الصهيونية؛ وهذا الأمل تمثل فى انتظار المُخلّص؛ لأن فلسطين دائمًا تنتظره. وهذا المخلص يظهر فى كل عصر ثم يختفى ليعود مرة أخرى فى صورة جديدة. وحول هذا المعنى تقول مجموعة الكورس فى المسرحية: "ودائمًا كانت هذه الأرض تنتظر المخلص. ودائمًا.. ودائمًا كان المخلص يأتي.. فى أحلك الساعات كان يأتي.. ثم يمضي.. يأتى ثم يمضي.. يأتى ثم يمضي.. من نوح إلى إبراهيم.. من موسى إلى عيسى إلى أبى القاسم"[3].

---

(١) السابق - ص(١٤٢، ١٤٣).

(٢) هذه المسرحية كانت ستُقدم على مسرح توفيق الحكيم باسم (السيرك الدولي) عام ١٩٧٢م، بطولة كرم مطاوع وعايدة عبد العزيز وإخراج محمد صديق؛ لكن الرقابة أوقفتها ليلة البروفة النهائية. ولم تُقدم المسرحية بعد ذلك إلا فى أغسطس ١٩٨٤م، عندما قدمتها فرقة بور سعيد التابعة للثقافة الجماهيرية، من إخراج عباس أحمد. وقد مثلت مصر فى مهرجان بغداد المسرحى عام ١٩٨٨م، تحت اسم (القضية). ونُشرت لأول مرة فى مجلة (المسرح) القاهرية، عدد ١٥، بتاريخ نوفمبر ١٩٨٢م، ثم نُشرت فى كتاب مستقل عام ١٩٨٧م.

(٣) يسرى الجندى - ما حدث لليهودى التائه مع المسيح المنتظر - سلسلة المسرح العربى - الهيئة ١٩٨٧م - ص(١٠٩).

وهذا الحل التواكلى للقضية الفلسطينية - الذى طرحه المؤلف، المتمثل فى انتظار المخلص - ربما كان المؤلف لا يصدقه، ولا يؤمن به فى الواقع. وربما يطول الانتظار، أو لا يأتى المخلص.. لذلك قام يسرى الجندى بواجبه تجاه القضية بأنه سجّل فى مسرحيته - مثل ألفريد فرج - حوادث التاريخ قبل أن تضيع، أو تُمحى من الذاكرة.

أحدهم: أن أغلبية العرب طردوا عنوة زمن الحرب سنة ١٩٤٨م وتمّ تدمير قراهم..

أحدهم: فى ١٥ نوفمبر عام ١٩٤٨م طرد سكان قرية كفر فيرام عنوة..

آخر: فى ٤ فبراير ١٩٤٩م تعرضت غالبية سكان كفر عنان للطرد القسرى فيما وراء الأسلاك الشائكة وقام الجيش بتهديم القرى..

آخر: فى ٢٨ فبراير ١٩٤٩م تم اعتقال ٧٠٠ عربى من اللاجئين فى قرية كفر ياسين ورحلوا عنوة إلى ما وراء الحدود..[١] [.. إلخ].

ويستمر المؤلف فى تسجيل الحقائق والتواريخ والأرقام والحوادث والاسماء والأماكن؛ خشية نسيانها، أو ضياعها، وعندما يطمأن بأنه سجل كل شيء، ينهى مسرحيته بالدعوة إلى الثورة حتى تتحرر فلسطين. وهذه الدعوة عبرت عنها مجموعة الكورس - فى المسرحية - قائلة:

"فلتستيقظ هذى الأرض..

فلتستيقظ هذى الأرض..

---

(١) السابق - ص(١٩٥).

فلتستيقظ.. فلتستيقظ..

فلتسرى نار اليقظة فى كل الأطراف..

فلتسرى نار اليقظة فى كل ملايين الأعصاب الغافية المكلومة..

فلترتج وترتج..

فلترتج وترتج..

فلتهتز بآلام مخاض الميلاد المحتوم"[1].

مسرحيات السيد حافظ

يُعد السيد حافظ من أهم كُتّاب المسرح المصرى وأغزرهم إنتاجًا! فقد كتب ست مسرحيات، تناول فيهم قضية فلسطين!! سأتوقف عند اثنتين منهم: الأولى (٦ رجال فى معتقل)، والأخرى (الحانة الشاحبة العين)، وقد تم نشرهما - مع مجموعة كبيرة من الدراسات حولهما - فى كتاب بعنوان (المسرح السياسي: أدب الحرب)، صدر فى جزأين، سأعتمد عليهما فى السطور القادمة.

فإذا أردنا الحديث عن مسرحية (٦ رجال فى معتقل)؛ سنجدها عبارة عن وقوع ستة من رجال الجيش المصرى فى أسر الكيان الصهيوني، بعد وقوع هزيمة ١٩٦٧م. والأسرى الستة ينقسمون إلى ثلاثة ضباط، وثلاثة جنود. ومن خلال هذا الوضع الدرامي، تتحدث شخصيات المسرحية - وبالأحرى يتحدث المؤلف السيد حافظ - عن نتائج الأسر نفسيًا على الأسرى، ونتائج الانتصار والنشوة على جنود الاحتلال الصهيوني. ولعل المؤلف أراد أن يعطى

(١) السابق - ص(٢٢٠).

- للقارئ/ المتفرج - أملاً فى حلّ القضية الفلسطينية مرة أخرى للعرب، عندما أنهى مسرحيته بظهور الفدائيين الفلسطينيين، وهم يطلقون الرصاص ويلقون بالقنابل على المحتل الصهيونى داخل الأرض المحتلة؛ مما يعنى أن المؤلف يرى المقاومة المسلحة، هى الطريق الأمثل لحلّ القضية الفلسطينية.

وهذا الحل عارضه سعد أردش قائلاً: "والكاتب فى نهاية هذه المسرحية يجد الخلاص على أيدى الفدائيين الفلسطينيين داخل الأرض المحتلة، بل إنه يستدعيهم لإنهاء العرض المسرحى بالبندقية والكلاشنكوف، وهو أول من يعلم أن هذا الحلم يشكل معجزة غير قابلة للتحقيق؛ لأن المعركة العسكرية ليست حلمًا من الأحلام، خاصة والأرض العربية تغلق فى وجوه هؤلاء الفدائيين شبرًا شبرًا، ابتداء من سبتمبر الحزين فى الأردن ١٩٧٠م، وصعودًا إلى سيناء بعد ذلك، ثم إلى جنوب لبنان وسعد حداد، وأخيرًا بمعاهدات كامب ديفيد ومفاوضات الحكم الذاتى التى يترقب أخبارها العرب.. كل العرب. ويعلم أيضًا أن القيادة الفلسطينية قد انتهجت مؤخرًا منهج الصراع الدبلوماسي، محل الصراع العسكري"[1].

وقد عبر المؤلف - السيد حافظ - عن موقف الدول العربية والغربية من القضية الفلسطينية، من خلال وصفها بأنها عبارة عن دوسيه به أوراق، يتم تداولها وتوزيعها وتفريقها بين الزعماء فى المؤتمرات والندوات، التى تعطى للزعماء مبررًا للسفر والاستجمام، والتجارة باسم القضية!! وقد عبر عن هذا الأمر (ضياء) أحد شخصيات المسرحية، قائلاً: ".. . القضية ورقها

(١) السيد حافظ - المسرح السياسي: أدب الحرب - الجزء الأول - ٦ رجال فى معتقل - دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر - الإسكندرية - ٢٠٠٥م - ص(١٧).

داب وحروفها اتغسلت جو الضباب.. .. .. والحروف لسه قوية رغم إن الدوسيهات باشت واتقطعت.. الحروف لسه بتدوي"[1].

أما مسرحية (الحانة الشاحبة العين)، فقد كتبها السيد حافظ لمعالجة قضية تحرير الإنسان، وذلك من خلال مجموعة من الشباب يختلفون فى انتمائهم؛ حيث نجد الفدائى واللاجى والمناضل والأجنبي.. . إلخ، يعانون معاناة واحدة، ويجمعهم مصير واحد، ويدافعون عن قضية واحدة وهى التحرر من الظلم والاستبداد، سواء كان التحرر للإنسان أو للأرض، المهم أن التحرر لن يأتى إلا بالوحدة والالتفاف فى صورة جماعية متماسكة. وبالنسبة للقضية الفلسطينية – فى هذه المسرحية – فقد تمثلت فى عدة أمور، منها:

١ – نقد الكاتب للحركة الصهيونية وإظهارها أمام العالم من خلال استحضاره للمرجعية الدينية والمرجعية التاريخية.

٢ – نقد الرأى العام المتجاهل للقضية الفلسطينية كقضية عربية.

٣ – نقد الكاتب للمجتمع العربى المتخاذل تجاه القضية الفلسطينية، التى هى قضية عربية شاملة[2].

---

(١) السابق – ص(٣٣، ٤٤).

(٢) السيد حافظ – المسرح السياسي: أدب الحرب – الجزء الثانى – ٦ رجال فى معتقل – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية – ٢٠٠٥م – ص(٢٤٧).